

في قواعد تعلق بالإمامية والتغليظ على من ليس في عقده بيعة، والترهيب من نقضها قال الإمام الحسن بن علي البربهاري - رحمة الله تعالى - في كتاب السنة له : من ولـيـ الخـلافـةـ بـاجـمـاعـ النـاسـ عـلـيـهـ وـرـضـاـهـ بـهـ؛ لا يـحـلـ لأـحـدـ أـنـ يـبـيـتـ لـيـلـةـ وـلـاـ يـرـىـ أـنـ لـيـسـ عـلـيـهـ إـمـامـ؛ بـرـأـ كـانـ أـوـ فـاجـراـ . هـكـذاـ قـالـ أـحـمـدـ بـنـ حـنـبلـ» اـهـ. فـقـالـ: إـنـيـ لـمـ آـتـكـ لـأـجـلـسـ، أـتـيـكـ لـأـحـدـثـ حـدـيـثـ، سـمـعـتـ رـسـوـلـ اللـهـ يـقـولـهـ، مـنـ خـلـعـ يـدـاـ مـنـ طـاعـةـ؛ لـقـيـ اللـهـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ لـأـ حـجـةـ لـهـ، عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـطـيعـ؛ هـوـ: اـبـنـ أـسـوـدـ بـنـ حـارـثـةـ الـقـرـشـيـ الـعـدـوـيـ الـمـدـنـيـ. لـهـ صـحـبـةـ، وـمـاتـ فـيـ فـتـنـةـ اـبـنـ الزـيـرـ» اـهـ. وـقـالـ الـحـافـظـ فـيـ التـقـرـبـ: «لـهـ رـوـيـةـ، وـأـمـرـهـ اـبـنـ الزـيـرـ عـلـىـ الـكـوـفـةـ، كـانـ وـقـعـةـ الـحـرـةـ، قـالـ الـحـافـظـ اـبـنـ كـثـيرـ فـيـ الـبـداـيـةـ وـالـنـهـايـةـ» (١) : وـلـمـ خـرـجـ أـهـلـ الـمـدـيـنـةـ عـنـ طـاعـةـهـ - أـيـ: يـزـيدـ، وـوـلـواـ عـلـيـهـمـ اـبـنـ مـطـيعـ، وـلـبـنـ حـنـبلـةـ، وـإـلـيـانـهـ بـعـضـ الـقـادـرـاتـ. وـالـفـاسـقـ لـأـجـلـ ماـ يـبـرـؤـ بـسـبـبـ ذـلـكـ مـنـ الـفـتـنـةـ وـوـقـعـ الـهـرجـ كـمـاـ وـقـعـ زـمـنـ الـحـرـةـ . وـقـدـ كـانـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ وـجـمـاعـاتـ أـهـلـ بـيـتـ الـنـبـوـةـ مـمـنـ لـمـ يـنـقـضـ الـعـهـدـ، كـمـاـ قـالـ إـلـيـهـ أـبـنـ أـسـمـاعـيلـ اـبـنـ عـلـيـهـ: حـدـثـنـيـ صـخـرـ بـنـ عـنـ نـافـعـ، ثـمـ تـشـهـدـ، ثـمـ قـالـ: «أـمـاـ بـعـدـ؛ وـإـنـيـ سـمـعـتـ رـسـوـلـ اللـهـ يـقـولـ: إـنـ الـغـارـرـ يـنـصـبـ لـهـ لـوـاءـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ، يـقـالـ: هـذـاـ غـدـرـةـ فـلـانـ». فـلـاـ يـخـلـعـنـ أـحـدـ مـنـكـمـ يـزـيدـ، وـلـاـ يـسـرـفـنـ أـحـدـ مـنـكـمـ فـيـ هـذـاـ الـأـمـرـ؛ فـيـكـونـ وـقـدـ رـوـاهـ مـسـلـمـ وـالـتـرـمـذـيـ مـنـ حـدـيـثـ صـخـرـ بـنـ جـوـرـيـةـ، قـلـتـ: هـوـ فـيـ كـتـابـ الـفـقـنـ مـنـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ بـالـقـصـةـ نـفـسـهـاـ. وـالـمـنـعـ مـنـ الـخـرـوجـ عـلـيـهـ وـلـوـ جـارـ فـيـ حـكـمـهـ، مـشـيـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـطـيعـ وـأـصـحـابـهـ إـلـيـ مـوـمـدـ بـنـ الـحـنـفـيـةـ، فـأـرـادـهـ عـلـىـ خـلـعـ يـزـيدـ؛ فـأـبـيـ عـلـيـهـ. فـقـالـ اـبـنـ مـطـيعـ: إـنـ يـزـيدـ يـشـرـبـ الـخـمـرـ، وـيـتـعـدـيـ حـكـمـ الـكـتـابـ. وـأـقـمـتـ عـنـهـ، مـتـحـرـيـاـ لـلـخـيـرـ، يـسـأـلـ عـنـ الـفـقـهـ، مـلـازـمـاـ لـلـسـنـةـ. فـقـالـ: وـمـاـ الـذـيـ خـافـ مـنـيـ أـوـ رـجـاـ حـتـىـ يـظـهـرـ إـلـيـ الـخـشـوـعـ؟! أـفـأـطـلـعـكـمـ عـلـىـ مـاـ تـذـكـرـونـ مـنـ شـرـبـ الـخـمـرـ؛ فـلـئـنـ كـانـ أـطـلـعـكـمـ عـلـىـ ذـلـكـ : إـنـكـمـ لـشـرـكـاوـهـ، وـإـنـ لـمـ يـكـنـ أـطـلـعـكـمـ فـمـاـ يـحـلـ لـكـمـ أـنـ تـشـهـدـواـ بـمـاـ لـمـ تـعـلـمـواـ. قـالـواـ: إـنـهـ عـنـدـنـاـ لـحـقـ، وـإـنـ لـمـ يـكـنـ رـأـيـناـهـ. فـقـالـ: أـبـيـ اللـهـ ذـلـكـ عـلـىـ أـهـلـ الشـهـادـةـ، فـقـالـ: «إـلـاـ مـنـ شـهـدـ بـالـحـقـ وـهـمـ يـعـلـمـونـ» (١)، وـلـسـتـ مـنـ أـمـرـكـمـ فـيـ شـيـءـ. قـالـواـ: فـلـعـكـ تـكـرـهـ أـنـ يـتـوـلـ الـأـمـرـ غـيـرـكـ، فـنـخـنـ نـوـيـكـ أـمـرـنـاـ. قـالـ: جـيـوـنـيـ بـمـثـلـ أـبـيـ أـقـاتـلـ عـلـىـ مـثـلـ مـاـ قـائـلـ عـلـيـهـ. قـالـواـ: فـمـرـ اـبـنـيـكـ أـبـاـ الـقـاسـمـ وـالـقـاسـمـ بـالـقـتـالـ مـعـنـاـ. قـالـ: سـبـحـانـ اللـهـ! أـمـرـ النـاسـ بـعـاـ لـأـفـعـلـهـ وـلـأـرـضـاـهـ، إـنـاـ مـاـ نـصـحـتـ لـلـهـ فـيـ عـبـادـهـ! قـالـ: إـنـاـ أـمـرـ النـاسـ بـتـقـوـيـ اللـهـ، وـلـاـ يـرـضـوـنـ الـمـخـلـوقـ بـسـخـطـ الـخـالـقـ. وـخـرـجـ إـلـيـ مـكـةـ» اـهـ. الـفـاعـدـةـ الـثـالـثـيـةـ فـهـوـ إـمـامـ تـجـبـ بـيـعـةـ وـطـاعـةـ، وـتـحـرـمـ مـنـازـعـةـ وـمـعـصـيـةـ قـالـ إـلـيـهـ أـحـمـدـ - رـحـمـهـ اللـهـ تـعـالـيـ فـيـ الـعـقـيـدـةـ الـتـيـ روـاهـاـ عـنـهـ عـدـوـسـ بـنـ مـالـكـ الـعـطـارـ: وـمـنـ غـلـبـ عـلـيـهـ - يـعـنـيـ: الـوـلـاـ - بـالـسـيـفـ؛ وـسـمـيـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ؛ بـرـأـ كـانـ أـوـ فـاجـراـ» (١) اـهـ وـاحـتـجـ إـلـيـهـ أـمـرـمـ أـحـمـدـ بـمـاـ ثـبـتـ عـنـ اـبـنـ عـمـرـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ، أـنـهـ قـالـ: «. وـأـصـلـيـ وـرـاءـ مـنـ غـلـبـ» (٢). وـقـدـ أـخـرـجـ اـبـنـ سـعـدـ فـيـ الطـبـقـاتـ» (٣) - بـسـنـدـ جـيـدـ - عـنـ زـيـدـ اـبـنـ أـسـلـمـ، أـنـ اـبـنـ عـمـرـ كـانـ فـيـ زـمـانـ الـفـتـنـةـ لـأـ يـاتـيـ أـمـيرـ إـلـاـ صـلـيـ خـلـفـهـ، وـأـدـىـ إـلـيـهـ زـكـاـةـ مـالـهـ. قـالـ: شـهـدـتـ اـبـنـ عـمـرـ حـيـثـ اـجـتـمـعـ النـاسـ عـلـىـ عـبـدـ الـمـلـكـ، قـالـ: عـلـىـ سـنـةـ اللـهـ وـسـنـةـ رـسـوـلـهـ مـاـ اـسـتـطـعـتـ، وـالـمـرـادـ بـالـاجـتـمـاعـ اـجـتـمـاعـ الـكـلـمـةـ، وـكـانـتـ قـبـلـ ذـلـكـ مـفـرـقـةـ، وـهـمـاـ عـبـدـ الـمـلـكـ بـنـ مـرـوـانـ، وـعـبـدـ اللـهـ بـنـ الزـيـرـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ . وـكـانـ اـبـنـ عـمـرـ فـيـ تـلـكـ الـمـدـدـةـ اـمـتـنـعـ أـنـ يـبـاـعـ لـاـبـنـ الزـيـرـ أـوـ لـعـبـدـ الـمـلـكـ، فـلـمـاـ غـلـبـ عـبـدـ الـمـلـكـ وـاـسـتـقـامـ لـهـ الـأـمـرـ بـأـيـعـةـ» (٢). بـلـ اـنـعـدـ عـلـيـهـ الـإـجـمـاعـ مـنـ الـفـقـهـاءـ: فـقـيـ «الـاعـتـصـامـ» لـلـشـاطـبـيـ (١): أـنـ يـحـيـيـ بـنـ يـحـيـيـ قـيـلـ لـهـ: الـبـيـعـةـ مـكـرـوـهـةـ؟ قـالـ: لـاـ. أـخـبـرـنـيـ بـذـلـكـ مـالـكـ عـنـهـ، وـرـوـىـ الـبـيـهـقـيـ فـيـ مـنـاقـبـ الـشـافـعـيـ (٢) عـنـ حـرـمـلـةـ، قـالـ: حـتـىـ يـسـمـيـ خـلـيفـةـ، وـيـجـمـعـ النـاسـ عـلـيـهـ، وـقـدـ حـكـيـ الـإـجـمـاعـ عـلـىـ ذـلـكـ الـحـافـظـ اـبـنـ حـجـرـ - رـحـمـهـ اللـهـ تـعـالـيـ فـيـ الـفـتـحـ، وـقـدـ أـجـمـعـ الـفـقـهـاءـ عـلـىـ وـجـوبـ طـاعـةـ السـلـطـانـ الـمـغـلـبـ، وـالـجـهـادـ مـعـهـ، وـأـنـ طـاعـةـ خـيـرـ مـنـ الـخـرـوجـ عـلـيـهـ؛ لـمـاـ فـيـ ذـلـكـ مـنـ حـقـنـ الـدـمـاءـ، فـقـالـ: الـأـئـمـةـ مـجـمـعـونـ مـنـ كـلـ مـذـهـبـ عـلـىـ أـنـ مـنـ تـعـلـبـ عـلـىـ بـلـدـ أـوـ بـلـدـانـ لـهـ حـكـمـ الـإـمـامـ فـيـ جـمـيعـ الـأـشـيـاءـ. اـهـ. وـقـالـ الشـيـعـ عـبـدـ الـلـطـيفـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ حـسـنـ الـأـلـيـشـ رـحـمـ اللـهـ الـجـمـيعـ: مـتـقـفـونـ عـلـىـ طـاعـةـ مـنـ تـغـلـبـ عـلـيـهـ فـيـ الـمـعـرـوفـ، يـرـوـونـ نـفـوذـ أـحـكـامـهـ، وـيـرـوـونـ الـمـنـعـ مـنـ الـخـرـوجـ عـلـيـهـمـ بـالـسـيـفـ، وـإـنـ كـانـ الـأـئـمـةـ فـسـقـةـ، مـاـ لـمـ يـرـوـاـ كـفـرـ بـوـاحـاـ. الـفـاعـدـةـ الـثـالـثـيـةـ وـتـمـ لـهـ الـتـمـكـينـ، قـالـ الغـزـالـيـ: أـوـ فـاسـقـ، وـكـانـ فـيـ صـرـفـهـ عـنـهـ إـثـارـةـ فـتـنـةـ لـأـ تـطـاـقـ، فـمـاـ يـلـقـيـ الـمـسـلـمـونـ فـيـهـ أـيـ فـيـ هـذـاـ الـاسـتـبـدـالـ - مـنـ الضـرـرـ يـزـيدـ عـلـىـ مـاـ يـقـوـتـهـ مـنـ نـقـصـانـ هـذـهـ الشـرـوـطـ الـتـيـ أـثـبـتـ لـمـزـيـةـ الـمـصـلـحةـ. فـلـاـ يـهـدـمـ أـصـلـ الـمـصـلـحةـ شـغـفـاـ بـمـزـايـاهـ؛ كـالـذـيـ يـبـنـيـ قـصـرـاـ وـيـهـدـمـ مـصـرـاـ وـيـفـسـادـ الـأـقـضـيـةـ، وـذـلـكـ مـحـالـ. وـتـحـنـ نـقـضـيـ بـنـقـوـذـ قـضـاءـ أـهـلـ الـبـغـيـ فـيـ بـلـادـهـ لـمـسـيـسـ حـاجـتـهـ؛ فـكـيـفـ لـأـنـقـضـيـ بـصـحـةـ الـإـمـامـةـ عـنـدـ الـحـاجـةـ وـالـضـرـورـةـ! اـهـ. وـقـدـ نـقـلـ الـشـاطـبـيـ فـيـ الـاعـتـصـامـ» (٢) كـلـاـمـاـ لـلـغـزـالـيـ نـحـوـ هـذـاـ، «أـمـاـ إـنـعـدـتـ الـإـمـامـةـ بـالـبـيـعـةـ، أـوـ تـوـلـيـةـ الـعـهـدـ لـمـنـكـ عنـ رـتـبةـ الـاجـتـهـادـ، وـقـامـتـ لـهـ الشـوـكـةـ، وـأـذـعـنـتـ لـهـ الرـقـابـ، بـأـنـ خـلـالـ الزـمـانـ عـنـ قـرـشـيـ مـجـتـهـدـ مـسـتـجـمـعـ جـمـيعـ الشـرـوـطـ؛ وـجـبـ الـأـسـتـمـارـ عـلـىـ الـإـمـامـةـ الـمـعـقـوـدـةـ إـنـ قـامـتـ لـهـ الشـوـكـةـ» (٣). وـإـنـ قـدـ حـضـورـ قـرـشـيـ مـجـتـهـدـ مـسـتـجـمـعـ لـلـوـرـعـ وـالـكـفـاـيـةـ وـجـمـيعـ شـرـائـطـ الـإـمـامـةـ، وـاـحـتـاجـ الـمـسـلـمـونـ فـيـ خـلـعـ الـأـوـلـ إـلـىـ تـعـرـضـ لـإـثـارـةـ فـتـنـ، وـاضـطـرـابـ أـمـورـ؛ لـمـ يـجـزـ لـهـ خـلـعـهـ وـالـاـسـتـبـدـالـ بـهـ، بـلـ تـجـبـ عـلـيـهـمـ الـطـاعـةـ لـهـ، وـهـوـ أـنـ الـعـلـمـ اـشـتـرـطـ الـإـمـامـ لـتـحـصـيـلـ مـزـيدـ مـنـ

المَصْلَحَةِ فِي الْاسْتِفْلَالِ بِالنَّظَرِ وَالاستِعْنَاءِ عَنِ التَّقْلِيدِ. إِذَا عُلِمَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ النَّمَرَةَ الْمَطْلُوَةَ مِنَ الْإِمَامَةِ: تَطْهِيفَةُ الْفِتْنَ النَّائِرَةِ مِنْ تَفْرُقِ الْأَرَاءِ الْمُتَنَافِرَةِ. قَالَ الْغَزَالِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ: وَتَسْوِيشَ النَّظَامِ، وَتَفْوِيتَ أَصْلِ الْمَصْلَحَةِ فِي الْحَالِ؛ تَشْوِيْفًا إِلَى مَزِيدٍ دَقِيقَةِ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ النَّظَرِ وَالتَّقْلِيدِ اهـ (١). قَالَ الشَّاطِئِيُّ - تَعْلِيقًا عَلَى كَلَامِ الْغَزَالِيِّ : هَذَا مَا قَالَ يَعْنِي: الْغَزَالِيُّ؛ وَهُوَ مُتَجَهٌ بِحَسْبِ النَّظَرِ الْمَصْلَحِيِّ، وَهُوَ مُلَائِمٌ لِلتَّصْرِيفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَإِنْ لَمْ يَعْضُدْ نَصًّا عَلَى ثُمَّ سَاقَ الشَّاطِئِيُّ رَوَايَةً عَنْ مَالِكَ بْنِ أَنَّسٍ فِي هَذَا الْبَابِ - تَقْدِيمَ ذَكْرُهَا (٢)، وَقَالَ: إِنَّ إِقَامَةَ الْمُسْتَحْقَقِ أَنْ تَقْعَدْ فِتْنَةً وَمَا لَا يَصْلُحُ؛ قَالَ: جَمَعَ أَبْنُ عُمَرَ حَشْمَهُ وَوَلَدُهُ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَإِنَّا قَدْ بَاعِنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْكُمْ خَلَعَهُ وَلَا تَابَعَ فِي هَذَا الْأَمْرِ؛ إِلَّا كَانَتِ الْفِيَصِيلَ بَيْنِي وَبَيْنِهِ (٣). وَأَبْنَ يَزِيدُ مِنْ أَبْنِ عُمَرَ؛ وَلَكِنْ رَأَى بِدِينِهِ وَعِلْمِهِ التَّسْلِيمَ لِأَمْرِ اللَّهِ، فَكَفَّ وَلَا يُعْلَمُ ذَلِكَ؟ فَتَقْهِمُوهُ وَالزَّمُوهُ، تَرْشُدُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ». الْقَاعِدَةُ الْرَّابِعَةُ وَيَأْخُذُ كُلُّ إِمَامٍ مِنْهُمْ فِي قُطْرِهِ حُكْمُ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ وَمَنْ لَمْ يُفْرِقْ بَيْنَ حَالَيِ الْإِخْتِيَارِ وَالْأَضْطَرْارِ؛ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَابِ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى: وَلَوْلَا هَذَا مَا أَسْتَقَامَتِ الدِّينِيَا؛ فَمِبِتْتُهُ مِيَةً جَاهِلِيَّةً» (٤) : قَوْلُهُ: «عَنِ الطَّاغِيَّةِ» أَيْ: طَاغِيَّةُ الْخَلِيفَةِ الَّذِي وَقَعَ الْاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَكَانَ الْمُرَادُ خَلِيفَةُ أَيِّ قُطْرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ، إِذَا لَمْ يُجْمِعِ النَّاسُ عَلَى خَلِيفَةٍ فِي جَمِيعِ الْبَلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ أَثْنَاءِ الدُّولَةِ الْعَبَاسِيَّةِ، بَلْ اسْتَقَلَّ أَهْلُ كُلِّ إِقْلِيمٍ بِيَقَائِمٍ بِأَمْوَالِهِمْ، وَقَوْلُهُ: «وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ»؛ أَيْ: خَرَجَ عَنِ الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ اتَّقَوُا عَلَى طَاعَةِ إِمَامٍ انْتَظَمَ بِهِ شَمْلُهُمْ، وَاجْتَمَعُتْ بِهِ كَلَمَتُهُمْ، وَأَمَّا بَعْدَ انتِشَارِ الْإِسْلَامِ، وَفِي الْقُطْرِ الْآخَرِ كَذَلِكَ، وَلَا يَنْعَدِلُ بِعَضُّهُمْ أَمْرٌ وَلَا نَهَى فِي قُطْرِ الْآخَرِ وَأَقْطَارِهِ الَّتِي رَجَعَتْ إِلَى وَلَايَتِهِ. وَكَذَلِكَ صَاحِبُ الْقُطْرِ الْآخَرِ، فَإِذَا قَامَ مَنْ يُنَازِعُهُ فِي الْقُطْرِ الَّذِي قَدْ بَيَّنَتْ فِيهِ وَلَايَتِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ لَا يَبْلُغُ إِلَى مَا تَبَاعَدَ مِنْهَا خَبْرُ إِمَامِهَا أَوْ سُلْطَانِهَا، وَلَا يُدْرِي مَنْ قَامَ مِنْهُمْ أَوْ مَاتَ، فَاعْرُفْهُ هَذَا؛ وَدَعْ عَنْكَ مَا يُقَالُ فِي مُخَالَفَتِهِ، فَإِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْوَلَايَةُ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ وَمَا هِيَ عَلَيْهِ الْآنُ أَوْضَحُ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ. وَمَنْ أَنْكَرَ هَذَا؛ فَهُوَ مُبَاهِتٌ لَا يَسْتَحِقُ أَنْ يُخَاطَبَ بِالْحُجَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُهَا» (٥) اهـ. مُؤْلَفُهَا عَلَى الْأَدَلَّةِ الْشَّرِعِيَّةِ، وَالْقَوَاعِدِ الْمَرْعِيَّةِ، وَقَدْ سَبَقُهُمْ إِلَى نَحْوِهَا ثُلَّةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُحَقَّقِينَ. قَالَ أَبْنُ عَرَفةَ فِيمَا حَكَاهُ الْأَبْيَانُ عَنْهُ: فَلَوْلَا بَعْدَ مَوْضِعِ الْإِمَامِ حَتَّى لَا يَنْفُذُ حُكْمُهُ فِي بَعْضِ الْأَقْطَارِ الْبَعِيْدَةِ؛ وَلِلشَّيْخِ عَلَمِ الدِّينِ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَصْرِ بِالْبَيْانِ الْمَصْرِيَّةِ: يَجُوزُ ذَلِكَ الْمُضْرُورَةِ . ثُمَّ قَالَ: وَحَكَى إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ عَنِ الْأَسْتَاذِ أَبِي إِسْحَاقِ أَنَّهُ جَوَزَ نَصْبُ إِمَامِيْنَ فَأَكْثَرُ إِذَا تَبَاعَدَتِ الْأَقْطَارُ، (٦) وَالْفَاطِمَيْنَ بِمِصْرِ، (٧) وَقَالَ الْمَازَرِيُّ فِي الْمَعْلُومِ: الْعَدْلُ لِإِمَامِيْنِ فِي عَصْرٍ وَاحِدٍ لَا يَجُوزُ، وَقَدْ أَشَارَ بَعْضُ الْمُتَأْخِرِيْنَ مِنْ أَهْلِ الْأَصْوَلِ إِلَى أَنَّ دِيَارَ الْمُسْلِمِيْنَ إِذَا اتَّسَعَتْ وَتَبَاعَدَتْ، وَكَانَ بَعْضُ الْأَطْرَافِ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ خَبْرُ الْإِمَامِ وَلَا تَدْبِيرُهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَسُوْعُ لَهُمْ» اهـ. وَعَلَيْهِ: فَإِذَا فَرِضَ أَنَّ الْأَمْمَةَ خَرَجَتْ عَنْ ذَلِكَ - لِمَعْصِيَّةِ مِنْ بَعْضِهَا، وَعَجَرَ مِنِ الْبَاقِيَّنِ؛ وَيَسْتَوْفِي الْحُقُوقَ. الْقَاعِدَةُ الْخَامِسَةُ فَلَيْسَ دَاخِلًا فِيمَا أَمْرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ طَاعَةِ الْوَلَايَةِ. يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى: «إِنَّ النَّبِيَّ أَمْرَ بِطَاعَةِ الْأَئِمَّةِ الْمُؤْجُودِينَ الْمَعْلُومِيْنَ، الَّذِينَ لَهُمْ سُلْطَانٌ يَقْدِرُونَ بِهِ عَلَى سِيَاسَةِ النَّاسِ، لَا بِطَاعَةِ مَعْلُومٍ وَلَا مَجْهُولٍ، وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ، وَتَحْوِيلِ ذَلِكَ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ بِهَا مَعْدُومٌ لَمْ يُوجَدْ بَعْدُ، وَلَا مَجْهُولٌ لَا يُعْرَفُ. عُلَمَاؤُهُمْ وَعَوَامُهُمْ، شَبَابُهُمْ وَشَيْبُهُمْ، وَالَّذِي لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى إِنْفَادِ مَفَاصِدِ الْإِمَامَةِ، فَإِذَا أَمْرَ بِرَدَ مَظْلَمَةٍ رُدَّتْ، وَإِذَا حَكَمَ بِحَدٍ أَقِيمَ، وَإِذَا عَزَّرَ نَفَذَ تَعْزِيرُهُ فِي رَعِيَّتِهِ، وَتَجْتَمَعُ عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ، وَتُحْفَظُ بِهِ بَيْضَهُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ. فَمَنْ نَزَّلَ نَفْسَهُ مَنْزَلَةً وَلَيَ الْأَمْرُ الَّذِي لَهُ الْقُدْرَةُ وَالسُّلْطَانُ عَلَى سِيَاسَةِ النَّاسِ، أَوْ أَعْطَتْهُ تِلْكَ الْجَمَاعَةَ بَيْعَةً تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لَهُ بِمُوْجِهِهَا، أَوْ دَعَا النَّاسَ إِلَى أَنْ يَحْكُمُوا إِلَيْهِ فِي رَدِ الْحُقُوقِ إِلَى أَهْلِهَا تَحْتَ أَيِّ مُسَمِّيٍّ كَانَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَخَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ. بَلْ تَحْرُمُ، وَلَا يَنْفُذُ لَهُ حُكْمٌ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِيْنَ. مُرَاعَةُ الشَّارِعِ الْحَكِيمِ لِتَوْقِيرِ الْأَمْرَاءِ وَاحْتِرَامِهِمْ مِنْ سَبِيلِهِمْ وَانتِقاَصِهِمْ، حَمْسٌ مِنْ فَعْلِ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ كَانَ ضَاماً نَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةً، أَوْ خَرَجَ غَازِيًّا، أَوْ قَدَّعَ فِي بَيْتِهِ؛ فَسَلَمَ النَّاسُ (٨) مِنْهُ وَسَلَمَ مِنَ النَّاسِ» (٩). وَبِسَنَدِهِ - أَيْضًا - عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ؛ وَمَنْ أَهَانَهُ أَهَانَهُ اللَّهُ (١٠). حَيْثُ قَالَ فِي كِتَابِهِ الْحُجَّةِ فِي بَيَانِ الْمَحَاجَةِ، وَحَدِيثَ أَبِي ذَرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْآتِيِّ. بَابُ ذِكْرِ النَّصِيحَةِ لِلْأَمْرَاءِ، وَإِكْرَامِ مَحَلَّهُمْ، وَتَوْقِيرِ رُتُبَتِهِمْ، وَتَعْظِيمِ مَنْزِلَتِهِمْ. اهـ وَمِنَ الْطَّرِيقِ الثَّانِي: مَا بَوَّبَ لَهُ أَبْنُ أَبِي عَاصِمٍ - أَيْضًا فِي كِتَابِ السُّنْنَةِ؛ حَيْثُ قَالَ: بَابُ مَا ذَكَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَمْرِهِ بِإِكْرَامِ السُّلْطَانِ وَزَجْرِهِ عَنِ إِمَانِهِ (١١). ثُمَّ سَاقَ بِسَنَدِهِ حَدِيثَ أَبِي بَكْرَةَ - السَّابِقِ: مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ؛ وَبِسَنَدِهِ - أَيْضًا - عَنْ أَبِي ذَرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: فَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ ثَغَرَ فِي الْإِسْلَامِ ثَغَرَةً، وَلَيْسَتْ لَهُ تَوْيِيْةً إِلَّا أَنْ يَسُدَّهَا،